الهـــــجرة

للأستاذ على عبد الرازق

حينما فكر أولو الأمر من أهل السبق فى الاسلام فى اختيار مبدأ للتاريخ الاسلامى كانت هنالك حوادث خطيرة ما يزال ذكرها حياً فى أذهانهم ، يملؤها روعة وجلالاً

هنالك حادث الهجرة نفسها ، وهنالك قبل حادث الهجرة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومبعثه ، ويوم اعلانه بالدعوة ، ويوم بيعة العقبة ، وبيعة الرضوان

ثم هنالك بعد حادث الهجرة غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، ويوم الفتح — فتح مكة — وهنالك اليوم الذى أنزل الله تعالى فيه على عباده المؤمنين : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » وغير ذلك أيضاً . كل أولئك وكثير مما لم نذكره ، قد كان ماثلاً أمام أولى الأمر من أهل السبق فى الاسلام يوم أرادوا أن يختاروا مبـــدأ للتاريخ الاسلامى ، فاختاروا من بين أولئك كله حادث الهجرة — هجرة النبي صلى الله عليـه وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة — وبذلك سجلوها ذكرى بين المسلمين متجددة ، وأرسلوها فيهم حديثاً مأثوراً وعبرة دائمة

ما نحسبهم فعلوا ذلك إلا وقد عرفوا لهذه الحادثة من القدر والخطر ما لم يعرفوا لغيرها من الحادثات التى عرفوا ، وإن كانت ذات قدر جليل وخطر عظيم

لقد يبدو غريباً أن يتفق الصدر الأول من بُناة الاسلام وأهل السبق والفضـيلة فيه على أن ينظروا إلى الهجرة بذلك النظر ، وأن يعتبروها أهم الحوادث فى الاسلام وأبرزها وأبلغها فى نشأته أثراً

والذين يقرءون سيرة النبي صلى الله عليـه وسلم قد يدركون فى غير مشقة أن هذه الهجرة كانت فى الحق حدثاً ذا شأن عظيم وخطر ، فأما أن يبلغ من خطرها أن تكون هى الحادث يغطى على جميع الحادثات ، وتغلب ذكراه ذكراها ، ويُرتفع اسمه فوق أسمائها ، فذلك ما قد يبدو غريباً يحتاج إلى شىء من البحث والنظر . بل لقد يبدو لبعض المتعسفين أمر هذه الهجرة وكأنه مظهر من مظاهر الهزيمة ، وكأنه عمل من أعمال اليأس والتسليم . وكذلك يظنه بعض الكفار ، وكذلك يسميه بعض كتابهم من الافرنج بالهرب والفرار

ولعل أولئك الذين يصفون هذه الهجرة بأشنع الصفات ، ويدعونها بشر الأسماء ، هم الذين سخرهم الله من حيث لا يشعرون ليكشفوا لنا عما أدرك السلف فى هذه الهجرة من روعة تتضاءل دونها كل روعة ، ومن عظمة لا تدانيها عظمة ، ومن حقائق وأسرار ما كنا لنهتدى إليها لولا أن أتاح الله لنا أولئك الحاسدين ينشرون فضل الهجرة كما تنشر النار طيب عَرف العود

وفى الحق قد كانت هـذه الهجرة فى ظاهرها نهاية أسيفة لمعركة حامية طالت واشـتدت بين دعوة الله ودعوة الطاغوت ، ولقى المسلمون فيها بأساً عاصفاً وزلزلوا زلزالاً شديداً . ولعل كُتّاب السيرة النبوية لم يستوفوا ما فى هذه الحرب المرة من تفاصيل ودقائق ، ولم يتوسعوا فى وصف ما تخللها من بأس وشدة ، ولعلنا لو استطعنا أن نحيط إحاطة شاملة بحقيقة هذه المعركة لوجدنا فيها قصة فريدة لمعركة كانت من أشد ما عرف التاريخ صراعاً بين الحق والباطل ، واصطداماً بين كلمة الله العليا وكلمة الكفر السفلى . لسنا نعرف من أمر هذه الحرب القاسـية إلا ذلك الذى يكرره كتاب السيرة ويتناقلونه من أحاديث الصحيفة ، وأحاديث التعذيب والايذاء ونحو ذلك ، ولكن الذى يدرس طبيعة هذه الحرب ، ويحلل ظروف زمانها ومكانها ، ويستقصى ما ورد فى سـياق الحديث عنها فى القرآن وفى السنة ، وفى كتب التاريخ لا يسعه إلا أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن هـذه المعركة قد كانت عنيفة إلى أقصى درجات العنف ، وقاسية إلى أبعد حدود القسوة ، وأنها كانت أكبر محنة ابتلى بها المسلمون فى صدر الاسلام ، وكانت نهايتها أن تشتت المسلمون ، وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربُّنا الله . وخرج صاحب الدعوة ورفيقه عليهما السلام ، كما خرج موسى كليم الله خائفاً يترقب (إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا) وهكذا كانت الهجرة نهاية أسيفة لمعركة طالت واشتدت بين دعوة الله ودعوة الطاغوت

ثم كانت هـــذه الهجرة نفسها بداية سعيدة ناجحة لمعركة طالت واشتدت بين دعوة الله ودعوة الطاغوت ، وفيها عاد الله سبحانه على المسلمين بالنصر مؤزراً (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمةُ الله هى العليا والله عزيزٌ حكيم)

ليس يشق علينا أن يقولوا عن الهجرة إنها كانت هزيمة وكانت فراراً . ولئن كانت الهجرة هزيمة فلقد كان فى هذه الهزيمة النصر كل النصر والفوز كل الفوز . ولئن كانت الهجرة عملاً من أعمال اليأس والتسليم ، فلقد كان مع اليأس والتسليم أمل باسم ، قضى الله أن يتحقق ، وغلبة شاملة أراد الله أن تتم ؛ ولئن كانت الهجرة هرباً وفراراً ، فلقـد أعقبتها رجعة على الـكفر ساحقة ، وكرة كانت القاضية

وهل يجد المسلمون فى تاريخهم ، وهل يجد غير المسلمين فى تاريخهم ، وهل تجد البشرية كلها فى تاريخها حادثة غير هذه الهجرة تستحيل فيها الهزيمة نصراً ويرتد اليأس رجاء ، ويصير الفرار سلطاناً وتمكيناً ؟ أم كان ذلك فضلاً من الله يختص به من يشاء ، وكان فضل الله عليك عظيما !

إذا كان المسـلمون قد استيأسوا يوم الهجرة وظنوا بالله الظنون ، فان المسلمين قد علموا يوم الهجرة أن يد الله الرحيمة ، قد امتدت من السماء فتلقت الاسلام تحفظه وتؤيده ، وأحاطت بالمسلمين فهدتهم إلى طريق السـعادة ، وكتبت لهم أن يكونوا هم الفائزين

لقـد علم المسلمون يوم الهجرة أن الله قد كتب لهذا الدين النصر الخالد ، ولن يخلف الله وعده ؛ ولقـد علم المسلمون يوم الهجرة أن الله وحده هو الذى يحمى هـذا الدين ويدافع عنه ، وأن الله وحده هو الذى يحفظ هذا الدين وينصره (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ، ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ، ولله ما فى السموات وما فى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)

علي عبد الرازق

آية الهجـــرة

للأستاذ أمين الخولى

المدرس بكلية الآداب

« وجاهدوا فى الله حق جهـاده ، هو اجتباكم ، وسماكم المسلمين »
« ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة »
من أول خطبة له عليه السلام بعد الهجرة

تخيرت الأمم من عيون أيامها ، وأعلام أحداثها ، ماجعلته ميقاتاً تؤرخ به ؛ فقالت لعام كذا من وفاة الأسكندر ، أو غلبة دقيانوس ، أو ميـــلاد المسيح ، أوماهومن ذلك . فلما تأذن الله أن يتخـذ الأسـلام ميقاتاً ، أبى له أن يكون مولد فلان ، أو مهلك فلان ، أو تملك مملك ، أو مصرع متوج ؛ فكل أولئك خفيف عند الله فى الميزان ؛ وكل أولئك لقد يهون على الزمان

يرحم الله ابن الخطاب ! لقد كره التاريخ بالوفاة ؛ نفر منه طبعه ، وعافته فيه قوة الحيـــاة ، فتجلت بقلبه روح الاسلام مشرقة ؛ وحمت له ألمعية لبقة ؛ إذ آثر لذلك المبدأ يوم جلاد ، واختار له ذكرى جهاد ؛ يوم غالب فيه فرد جماعات ، وناضلت عزمة عزمات ؛ فبينا البـاطل فى قبائل يتنمر ، والموت على يد الأجلاد يرصد ويدبر ، تصدى لذلك كله « محمد » وحده يسخر ؛ « وجعلنا من بين أيديهم سداً ، ومن خلفهم سـداً ، فأغشيناهم فهم لايبصرون » . ماعز عليه أن يخلى الأهل والوطن ، ولاراعه أن يغترب لغير مستقر ، فغلب الحق وظفر ، وانتصر الايمـان وقهر ، فى قلة وروعة وتجرد

تلك آية الهجرة ، وذلك فى اختيارها سر الفكرة ، ألقاه الى